به فایل WORD این مقاله به سایت DaneshResan.com مراجعه نمایید و عنوان مقاله را جستج
بیش از ۲ میلیون مقاله فارسی در این سایت موجود میباشد

إعداد: أ. محمد سعيد المؤمن

العلامة المرجع آية الله
السيد محمدحسين فضل الله
من رواد الصحوة الإسلامية المعاصرة*

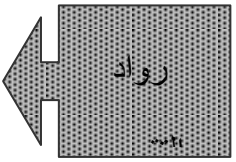

عاش سماحة العلامة فضل الله حياته منفتحاً على الرسالة منذ أن فتح عينيه على الحياة وواجه الكثير من العنت و التعسّف ممّا يواجه الرساليّين. وكان في كلّ حياته منفتحاً، على الله و يأمل برحمة الله.

إن على الناس أن يدرسوا تجربته، لأنّ تجربته كانت تجربة واسعة عميقة ممتدّة في خطوط الرسالة. كانت تاريخاً قد يحمل السلب والإيجاب، و لكنّه لم يكن فيه شيء لغير الرسالة، و ربّما لايلتقي الناس بتأريخ معاصر، في شخص معاصر، بمثل هذا الغنى و بمثل هذه الصدمات.

---

* - مستل من حوار أجراه الشيخ يوسف عباس والشيخ محمد عمير صيف 2000.

به فایل WORD این مقاله به سایت DaneshResan.com مراجعه نمایید و عنوان مقاله را جستج
بیش از ۲ میلیون مقاله فارسی در این سایت موجود میباشد

فعلينا أن نفهمه جيداً اذا كنا غير قادرين على فهمه في حياته لأن التهاويل والانفعالات والتعقيدات قد حجبت وضوح الرؤية، ولكن عندما يغيب الانسان عن الساحة و يشعر الآخرون بالأمن من تعقيدات و جوده عليهم، يمكن أن يفهموه أكثر و أن يستفيدوا من تجربته أكثر، لذلك تطرقنا في هذا العدد وفي الذكرى السنوية الاولى لرحيل العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله احد رجال التقريب في عالمنا المعاصر هذه الشخصية المرموقة وفاءً وتكريماً للجهود الذي بذلها هذا العالم المقدام في مسيرة حياته الى الله وماجاء هنا مقتبس من كتاب « ايها الاحبة» مع بعض التعديلات و في حديثه حول التحول من الذات الى الرسالة يقول سماحته:

ـ من الطبيعي أنّ من الصعب جدّاً أن يتحرّر الإنسان من ذاته: لأنّ ذاته تمثّل وجوده، وتمثّل ملامح شخصيّته، وتمثّل العنصر الذي إلى أن يتجاوز واقعه إلى واقع آخر...

لكنّ هناك فرقاً بين أن تكون ذاتك هي الهدف، بحيث إنّك تعمل من أجل أن تؤكّد ذاتك، و بين أن تكون ذاتك هي الوسيلة التي تستخدمها لتحقيق الهدف.

لقد قلت بأنّي لم أشعر أنّ عليّ أن أؤكّد ذاتي من أجل أن تتضخّم أكثر، أو من أجل أن

به فایل WORD این مقاله به سایت DaneshResan.com مراجعه نمایید و عنوان مقاله را جستج
بیش از ۲ میلیون مقاله فارسی در این سایت موجود میباشد

تنتفخ أكثر... من الطبيعي أن أحبّ ذاتي؛ و لكنّي عندما أسترجع ذاكرتي، أشعر أنّ الإسلام هو ما كان يشغل ذاتي عن ذاتي، و من الممكن أن أكون حقّقت ذاتي في الإسلام؛ لأن الإسلام هو فكري، و هو ديني، و هو دنياي وآخرتي، فمن الممكن جدّاً أنّ الذات كانت تتحرّك لتؤكّد نفسها في الأفق الروحي العامّ، والأفق الثقافي العامّ؛ لأنّك لا تستطيع أن تبعد ذاتك عن حركتك، لكنّك من الممكن أن تبعد ذاتك عن هدفك.

إنّني لا أعمل أن أفرض ذاتي على مسيرتي. ولو كنت أريد أن أفرض ذاتي على مسيرتي لما عشت كلّ هذه الصراعات، وكلّ هذه المعارك....

واما عن حرمة الراحة و مستندها الفقهي يؤكد أن المستند الفقهي هو قاعدة المسؤولية؛ فأنا عندما أتحسّس أنّي أستطيع أن أخدم الإسلام أكثر، و أنّ الإسلام بحاجة إلى ما أملكه من طاقات، وأنّ الناس بحاجة إلى أن أحرّك تجربتي في حياتهم أكثر، فإنّني أشعر أنّ مسؤوليّتي تمنعني أن أعيش حالة فراغ، أو أعيش حالة راحة لاهية عابثة.

لذلك في الوقت الذي أعيش فيه كإنسان شاعر يحبّ الجمال، و يحبّ الطبيعة .... لم أعش كلّ حياتي هذا الاسترخاء في الطبيعة، أو الاسترخاء أمام حالات اللهو والعبث في

الحياة. فقد يكون ذلك مزاجاً، ولكنّه في الوقت نفسه يمثّل أسلوب حياتي، فأنا لا أجد الوقت الذي أفرغ فيه لنفسي أو لأهلي حتّى الآن و أنا في الطريق إلى السبعين.

وهل تحمل في قلبه حقداً على أحد....

ـ إنّني منذ انطلقت في الحياة تعلّمت الحبّ من الله و من رسول الله (ص) و من الأئمّة (ع) ؛ فقد رأيت أنّ الله سبحانه و تعالى قد أعطى الرحمة للناس كلّهم، والرحمة تمثّل حالة حبّ، فأنا أحبّ الإنسان كلّه، و لكنّي أبغض انحرافه و جريمته وكفره وظلمه، وقد ورد عندنا في الحديث: « إنّ الله يحب العبد و يبغض عمله، و يحب العمل و يبغض بدنه»[1].

لقد تعلّمت من رسول الله (ص) ذلك، عندما قرأت سيرته، ورأيت أنّه مفتوح القلب لكل الناس، و أنّه كان يقول: « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»[2]... و تعلّمت من الإمام عليّ (ع) عندما كان يقول : « احصد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك» [3].

إنّني و أنا أتألم ممّا يتحرّك به كلّ هؤلاء، ولا أدّعي لنفسي، أنّي أبتعد عن الأحاسيس والمشاعر ؛ فقد كان رسول الله (ص) - كما حدّثنا الله تعالى عنه - يحزن، ويعيش الضيق ممّا يمكرون ؛ لذا قال الله له: (ولا تحزن عليهم و لا تكن في ضيق مما يمكرون) [4] لكنّي

أحاول دائماً أن أدرس نقاط الضعف التي فرضت عليهم ذلك ... كنت أدرس التخلّف الذي يعيشون فيه، والجهل الذي يعيشون فيه، و الذاتيّات التي يدورون في فلكها، و لذلك كنت أشفق عليهم من أنفسهم أكثر ممّا أشفق على نفسي منهم .

إنّني أؤمن بحقيقة، هي أنّ عليك أن تحبّ الذين يخاصمونك لتهديهم، وتحبّ الذين يوافقونك لتتعاون معهم. و إنّني أحبّ الذين ألتقي معهم لأتعاون معهم على البرّ والتقوى، وأحبّ الذين أختلف معهم لأتعاون معهم في الحوار من أجل فهم الحقيقة.

إنّ الحياة لا تتحمّل الحقد.. الحقد موت، والمحبّة حياة، و أنا أريد أن أحيا و لا أريد أن أموت.

وإنّني أستطيع أن أقول إنّني لا أحقد على من حقد عليّ ؛ وربّما يتحوّل هذا اللاحقد إلى شيء من المحبّة العقليّة، أن يبتعد هذا الإنسان عمّا هو فيه من خطأ أو ينطلق عمّا هو فيه من تخلّف .

واما الانسان وفقاً للمنهج الإسلامي:تحدده آية قرآنية (إني خالق بشراً من طين) [5] . هو قبضة من الطين تربطه بالأرض، ونفخة من روح الله تحلق به في رحاب الله، وأعتقد أن هذا

التزاوج بين الطين و بين الروح الذي جعل الطين يتحرك، وجعل الروح تتجسد، هو الذي يجعل من الإنسان إنساناً يملك مسؤولية خلافة الله على الارض، على أساس علاقته بالأرض، ووعيه للأرض، وفهمه للأرض: (وعلم ادم الاسماء)[6] ... وهكذا ينطلق في خلافته للأرض لينتج للأرض ثقافتها و حركيتها و علاقتها و أوضاعها و خصبها ورخاءها، و يفجر ينابيعها و ما إلى ذلك، ليحلق بالأرض إلى السماء لتقف الأرض بين يدي الله لتتحول إلى سماء في الروح . بذلك فإنني لاأفهم الإنسان إلا من خلال أنّه يعيش إنسانيته في الانفتاح على الله، و في التحرك في خط المسؤولية، بحيث يعيش العطاء في كل طاقاته (إنما نطعمكم لوجه الله) [7] .

وأملك روحاً رقيقة في الإحساس بالإنسان، و رقيقة في الخشوع أمام الله . وقد عبرت عن ذلك في قصيدة قلتها في الخمسينات أو الستينات:

خلقت رقيقاً كأن الإله براني من نسمة نادية

وأنا إنسانيّ ؛ لأنّ الإنسان عقل وقلب و روح و إرادة و حركة، وبالعقل تنتج الفكر، وبالعقل تنتج العاطفة، وبالروح تنتج الايمان، و بالإرادة وبالحركة تنتج الحياة . لذلك، فإنّني أتصور أنّ هذه الإنسانية التي

تتمثّل فيها هذه المفردات، هي التي يعبّر عنها كلمة « الفطرة »، لجعل الإنسان ينفتح على الله، و ينفتح على الحياة من خلال الله.... و لهذا فإنّني أعتقد أنّ الانسان إذا فكّر بإنسانيّته، أو بفطرته، فإنّه يلتقي بالحقيقة، ويلتقي بالإنسان الآخر، ويملك أن يحاور الإنسان الآخر، وأن يتعاون معه.

لذلك إنّ المشكلة في كثير من الناس أنّهم يعيشون الركام الذي يتجمّع فوق الإنسانيّة، ممّا يجمعه الإنسان من أطماعه و أحقاده، ومن الأمور الضيّقة التي يعيش فيها.

مشكلتنا هو هذا الركام المتخلّف في تحجّره، وفي تعقيداته، الذي يطبق على الفطرة، فيحجبها عن الانفتاح على الله و على الحقيقة....

لذلك، كنت أدعو إلى أن يعيش الإنسان إنسانيّته، و أن يتخلّص من كلّ هذا الركام الذي يطبق على عقله ليجعله ضيّقاً متخلّفاً، ويطبق على قلبه ليجعله حاقداً، و يطبق على روحه ليبتعد بها عن عالم السماوات، ويطبق على إرادته ليضعفها، وعلى حركته ليؤطّرها باطار لا يتّسع للإنسان وللحياة.

وعن فهمه للحياة يقول الراحل:

على الإنسان ألاّيجعل الزمن مجرّد لحظات

تمّر، ولكنه يحاول أن يملأ الزمن بكلّ المعاني الإنسانيّة حتّى يتحوّل الزمن إلى عنصر من العناصر التي تحمل الإنسان في معنى ما يمنحه من حياة .

ربّما يتصوّر الإنسان الحياة في هذه الحياة الجسدية التي تحرّك كلّ أجهزته، لكنّي أتصوّر أنّ هذه تمثّل آليّة الحياة و ليست الحياة، إنّ إنسانيّة الإنسان عندما يقول: أنا، أو عندما تقول، أنت، ليست هي هذا الجسد، وإنّما الإحساس بكل عنصر داخليّ يتحرّك في إطار هذا الجسد.

إنّني أفهم الحياة هذه الحيويّة العقليّة و الروحيّة والحركيّة التي تمثّل الوجود الإنسانيّ الذي يبحث عن فكر ينغرس فيه، وعن مستقبل يصنعه، وعن روح يسمو معها و يصفو معها.

و لايُمكن أن يُعلن الإنسان فهم الحياة ؛ لأنّ الحياة ليست مجرّد لوحة مكتملة الملامح والجوانب. إنّ الحياة تعطي في كلّ يوم، من خلال ما تتمثّل في الإنسان، فكراً جديداً، وإحساساً جديداً، و شعوراً جديداً، تطلّعاً جديداً .

لذلك، لن يستطيع أحد أن يزعم لنفسه أنّه استطاع أن يكمل الفهم للحياة. إنّني أستطيع

أن أقول: إنّني اغتنيت بالحياة في الجانب المعرفي لكثير من ركائزها و ملامحها و حركيتها و صراعاتها وأحداثها؛ ولكن يبقى من الحياة الكثير لمايتجاوز العمر، و لما ينفتح على أعمار جديدة وعلى أجيال جديدة.

وعند ما يتحدث عن الشخصية التي أثرت فيه على مستوى التحول يقول:

ـ و إنّني لا أتصوّر الآن شخصاً ممّن عايشته كان له هذا الأثر في التحوّل ؛ ولكنّي أستطيع أن أؤكّد أنّ رسول الله (ص) كان له أبلغ الأثر في كثير من كلّ هذه الحياة التي عشتُها. والثاني هو الإمام عليّ (ع) الذي أعيش التصوّف في الانفتاح عليه، بحيث إنّي لا أملك نفسي عندما أتحدّث عنه، وأشعر بأنّي أذوب حبّاً و إعجاباً و تعظيماً له؛ لأنّ عليّاً (ع) - و هو تلميذ رسول الله (ص) و تلميذ القرآن - عاش رحابة الحياة كلّها و رحابة الحقيقة في كلّ مفرداتها... ومن الطبيعي أن يلتقي الإنسان بالحسين(ع)...

ـ أمّا في انفتاح حياتي بالطريقة التي كنت فيها أبتعد عن كلّ هذه الزنزانة البيئيّة التي كانت تحيط بي، فقد كان أبي ذا أثر كبير في ذلك...

وفي حديثه عن عالم الخلود و لقاءالله

يستطرد قائلاً :

ـ من الصعب جداً أن يستحضر الإنسان في الدنيا أجواء العالم الآخر، لأنّ عالم الدنيا هو الحسّ الذي قد يرتبك بالمحسوسات، التي قد تجتذب مشاعره و أحاسيسه و اهتماماته، بينما قد لا تكون المسألة بهذا الحجم في الآخرة.

لذلك ما أتصوره الآن هو أن أتحسّس الله في وجداني، حيث أملك عالماً جديداً في العيش معه و في التطلّع إليه و في الحديث معه؛ لأنّنا، ونحن في الدنيا في شوقنا إلى الله، لا نستطيع أن نتمثّل شيئاً منه إلا من خلال أحاسيس الفطرة التي نبقى نعيش معها في ضباب، بالرغم من اليقين والاطمئنان لوجوده ورعايته للكون كلّه.

إنّ الله يحدّثنا في القرآن عن شيء روحي في معناه بحيث يمثّل المستوى الأكبر من كلّ نعيم الجنّة، وذلك في قوله تعالى: (ورضوان من الله اكبر) [8] إنّني أشتاق إلى أن أتحسّس أكثر من ذلك، وأن أعرف الله أكثر من ذلك.

أمّا قضيّة لذّات الجنة و مجتمع الجنّة، فإنّني أتمثلها بما يمثّلها القرآن، وقد أجد في نفسي شوقاً أن أعيشها هناك: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ

وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ، سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[9] وفي قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[10].

إنّ من الطبيعي أن يشتاق الإنسان إلى أحبابه من خلال ما يستشعره في الدنيا من خلال فقدهم والشوق إلى لقائهم من جديد. من الطبيعي أن يشتاق الإنسان إلى الحياة الطبيعية التي أدمنها و تعوّد عليها؛ باعتبار أنّ الوحدة تمثّل غربة للإنسان.....

ولكنّي وأنا في الدنيا أعيش حركية العمل : أن أجري نحو هدف، أن أعاني، أن أتحرّك ... و أتساءل : هل هناك مجال للعمل هناك؟ أو أنّ الحياة هناك سعادة لا طعم فيها للشقاء، كما يصوّرها لنا القرآن: راحة لا مجال فيها للتعب؟ ولكن هل يبقى الإنسان هناك فارغاً، أو هناك ما يملأ عقله و فكره و روحه و شعوره، بحيث لا يفكّر بشيء آخر؟

وأستحضر في ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[11] هل نكون من هؤلاء؟.... أو الحديث المعروف : « فيها مالاعينٌ رأت و لا أُذُنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر»[12].

ربّما يتحرّك شوق الإنسان إلى ما في الآخرة

من خلال المفردات التي يعيشها في الدنيا، ولكن هل هي مفردات الآخرة ؟ وهل أنّ الحديث عن الجوانب الحسّية في الآخرة حديث عن حقيقة حسّية هناك كما هو ظاهر في القرآن؟ أو أنّه حديث عن تقريب للصورة من قبيل وسائل الإيضاح، لأنّ عالم الآخرة هو عالم آخر في كل صورته وفي كل تطلّعاته و في كل لذّاته؟ عالم بعيد عن الحسّ، ومنفتح على النور، ماذا هناك ؟ إنّنا نشتاق إلى أن نتعرّف ماذا هناك.

ومن جملة ما اوصى به العالم الإسلامي والحركات الإسلامية و الجيل الإسلامي:

ـ إنّني أوصي – إذا كان من حقّي أن أطلق الوصايا – العالم الإسلامي أن يحافظ على معنى الإسلام في عالميّته ؛ أن يكون عالماً إسلاميّاً يحمل الفكر الإسلامي إلى الناس، ويحمل المحبّة الإسلامية إلى الإنسان، ويحمل المسؤولية الكبرى في كل القضايا التي تتّصل بالحياة من أجل « أسلمة الحياة» في الخطّ الأصيل للإسلام الذي يؤكّد الوعي و يؤكّد الانفتاح.

ـ أوصي العالم الإسلامي أن يتخفّف من كلّ أثقال التخلّف، ومن كلّ أثقال الجهل ومن كلّ أثقال التمزّق.

ـ أوصي العالم الإسلامي بأن لا يجعل من الاختلاف المذهبيّ وسيلة من وسائل إسقاط الأخوة الإسلامية، بل أن يواجه الاختلاف المذهبي كحالة ثقافية تتنوّع فيها الأفكار، وتختلف فيها وجهات النظر؛ ليكون الحوار هو الأساس في حلّ هذه المشاكل، على طريقة قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[13] وذلك بأن نخلص لما قاله سبحانه وتعالى، فلا نتعصب للخطأ إذا كان موقفنا خطأً ، وأن نخلص لما قاله الرسول، فلا نتعصّب للخطأ إذا عشنا فيه، بل أن ننطلق مع الله والرسول بكلّ فكر مفتح، وبكلّ فهم واع، وبكلّ موقف مسؤول، وبكلّ تقوى في الفكر.

من الطبيعي أن التطوّرات الثقافيّة والسياسية في العالم دفعت بأساليب جديدة في التحرّك الذي يستهدف تغيير الذهنيّة الإنسانيّة لمصلحة هدفٍ سياسيّ كبير، قد يصل إلى مستوى إنتاج الدولة على صورة هذا الهدف، أو انتاج المجتمع على صورة هذا الهدف.

الهوامش:

1- نهج البلاغة، ج2، 44، من خطبة له في الداعي ووصف آل البيت ع
2- بحارالأنوار، العلامة المجلسي،ج20، 21.
3- نهج البلاغة، ج4، ص 43.
4- النمل/ 70.
5- ص/ 71- 72.
6- البقرة/ 31.
7- الإنسان/ 9.
8- التوبة/ 72.
9- الرعد/ 23- 24.
10- الحجر/ 47.
11- السجدة/ 17.
12- وسائل الشيعة، ج15، ص 223، ح1.
13- النساء/ 59.